المؤثّرات الدينيّة في الخطاب الوجداني في الشعر الإسلامي

الدكتور: إياد عبدو جاموس

كليّة الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة حمص

الملخّص باللغة العربيّة

عُنيت هذه الدّراسة بالوقوف على المؤثّرات الدينيّة في الخطاب الوجداني في الشعر الإسلامي، حيث اهتمّت الدّراسة برصد أهمّ المؤثّرات الدينيّة في الشعر الإسلامي، وكيف كان لتلك المؤثّرات تأثير كبير وواضح في إغناء الشعر العربي بالحسّ الوجداني.

كما عُنيت الدّراسة من جانب آخر بالوقوف على طبيعة شعراء العصر الإسلامي، ودراسة الملامح التي امتازوا بها في شعرهم، ورصد الخصائص الوجدانيّة التي ميّزت ملامح شعرهم الإسلامي.

وأبانت الدراسة عن دور النزعة الوجدانية التي عملت على صبغ شعرهم بالمعاني الوجدانيّة التي ظهرت في شعرهم الإسلامي، وذلك من خلال الدفاع عن الإسلام، والذود عنه بلسانهم ونصرته، والفخر بانتصارات المسلمين، والتغني بفتوحاتهم، ومدح الرسول الكريم محمد صلّى الله عليه وسلّم،

والتغنّي بصفاته الخُلُقيّة والخَلقيّة، والإشادة بالقادة المسلمين، ومدحهم والوقوف على ذكر شمائلهم وصفاتهم، والردّ على شعراء المشركين وهجائهم.

وأكثر ما ظهرت تلك النزعة الوجدانيّة في شعرهم من خلال الأبيات التي رثوا فيها شهداء المسلمين، وبكائهم في أبيات تمكّنت من البوح بما يخفى في قرارة نفسهم من مشاعر الحزن والألم والأسى على شهداء المسلمين.

الملخّص باللغة الإنكليزيّة

Religious influences in the emotional discourse of Islamic poetry

This study focuses on the religious influences on the emotional discourse in Islamic poetry. It examines the most significant religious influences in Islamic poetry and how these influences profoundly impacted the enrichment of Arabic poetry with emotional expression.

Furthermore, the study explores the nature of poets of the Islamic era, analyzing the distinctive features of their poetry and identifying the emotional characteristics that characterized their Islamic verse.

The study reveals the role of emotionalism in imbuing their poetry with emotional themes, evident in their defense of Islam, their eloquent

advocacy for it, their pride in Muslim victories, their celebration of conquests, their praise of the Prophet Muhammad (peace be upon him), their extolling of his moral and physical attributes, their commendation of Muslim leaders, their praise of their virtues and qualities, and their responses to and satire of pagan poets.

This emotional tendency appeared most prominently in their poetry through the verses in which they mourned the Muslim martyrs, and their weeping in verses that were able to express what was hidden deep within them of feelings of sadness, pain and sorrow for the Muslim martyrs.

المقدّمة:

تأتي أهميّة الخطاب الوجداني في الشعر من خلال تمكّنه من إعطاء صورة واضحة تعكس نظرة الشاعر إلى الموضوع الذي يصوّره في شعره، وبذلك فإن الخطاب الوجداني يجمع بين الموضوع من جهة، وتصوير حالة الشاعر وموقفه من ذلك الموضوع من جهة أخرى.

وإنّ التيّار الوجداني كان له امتداد كبير في الشعر العربي، بدءاً من ظهوره في الشعر الجاهلي، وذلك من خلال مؤثّرات عدّة أسهمت في مجموعها في ظهور التيّار الوجداني في الشعر الجاهلي، ومن أهمّها المؤثّرات الدينيّة التي جعلت الشعراء ينظمون أشعارهم اعتداداً بالعقائد التي يؤمنون بها، فأعلنوا من خلال أشعارهم عن مدى تعلّقهم بعقيدتهم الوثنيّة، وأظهروا ولاءهم لها، ممّا أدّى إلى بلورة هذا الولاء من خلال الشعر. وهذا التيار لم يقتصر ظهوره في الشعر الجاهلي، وإنما امتدّ إلى شعر صدر الإسلام ليكون له صدى واسع، فشهد التيار الوجداني نشاطاً واسعاً في العصر

الإسلامي أكثر ممّا كان عليه في العصر الجاهلي، وذلك بسبب الاختلاف الذي طرأ على نظام الحياة القبليّة بعد مجيء الإسلام.

مشكلة البحث:

إنّ ظهور القيم الإسلاميّة الروحيّة لاقت قبولاً عند الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهليّة، ثم أدركهم الإسلام، فآمنوا بالدين الجديد، وعبّروا عن تأثّرهم بالقيم الإسلاميّة، وظهر هذا التأثر من خلال الشعر الذي استطاع أن يصوّر قدرة الإسلام، وما جاء به من قيم على ملامسة وجدانهم الذي جعلهم يتأثّرون بألفاظ المعجم الإسلامي ومعانيه. فاقتبسوا الكثير من الآيات القرآنيّة، ووظّفوها في أشعارهم، كما تجد العاطفة الرقيقة التي غلب عليها الورع والخشية والتقوى، وعلى مستوى الألفاظ، فلم تكن ألفاظهم متّسمة بالجزالة والصعوبة والقوّة، بل كانت ألفاظهم أقرب إلى السهولة والبساطة، وكانت مقتبسة من مفردات الشريعة الإسلاميّة.

فروض البحث:

1- توظيف الشاعر الإسلامي المعاني لخدمة الدين الإسلامي وإعلاء كلمته.

2- دعوة الناس إلى الإسلام باستخدام المؤثّرات الدينيّة في الخطاب الوجداني.

3- اختفاء المعاني الجاهلية القديمة التي كانت تنبض بروح العصبية القبلية، وتدعو إلى الأخذ بالثأر، وتشجّع على الحروب وسفك الدماء، زيادةً على الهجاء المقذع، والغزل الفاحش، وكلّ ذلك نهى عنه الإسلام.

أهميّة البحث:

تأتي أهميّة هذه الدراسة من تسليطها الضوء على طبيعة المؤثّرات الدينيّة التي أسهمت في بلورة الاتجاه الوجداني في الشعر الإسلامي، فاهتمّ البحث بدراسة تلك المؤثّرات على تنوّعها، وقام برصدها وتتبّعها من خلال دراسة الأبيات وتحليلها.

منهج البحث:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي عُني بتحليل النصوص المتعلّقة بدراسة الخطاب الوجداني في الشعر الإسلامي، ودراستها من أجل تتبّع الخصائص الوجدانية في الشعر، ورصدها والإحاطة بها من خلال الوقوف على طبيعة المؤثّرات الدينية التي عملت على نشأة الاتجاه الوجداني في الشعر الإسلامي.

الدراسات السابقة:

1- دراسة مقدمّة من الطالب: إياد يونس محمد أبو مقيبل، بعنوان "الخطاب الوجداني بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم –دراسة موضوعيّة"، تناولت هذه الدّراسة الحديث عن الخطاب الوجداني بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم وذلك لمعرفة كيفيّة التعامل مع الآباء والأبناء خلال الدعوة.

2- دراسة مقدمّة من عاصم شحادة علي، وغالية محمد عيسى علي، بعنوان :الخطاب الوجداني في القرآن الكريم وأثره في التفكير والتربية الإبداعية"، يهدف هذا البحث إلى الاستفادة من الخطاب الوجداني في القرآن الكريم، ومحاولة تطبيقه كسلوك تأثيري وتحفيزي في تربية الأجيال؛ لحثهم على التأمل والتفكير الإبداعي المنتج.

الكلمات المفتاحيّة: الخطاب الوجداني – المؤثّرات الدينيّة – الشعر الإسلامي.

تمهيد:

جاء الإسلام، وغيّر قانون الجاهليّة الأولى الذي كان حافلاً بالحروب والقتالات الدامية والمستمرة بين القبائل، زيادةً على قانون الأخذ بالثأر، والتعصّب الشديد للقبيلة، فقد كانت كلّ قبيلة تتعصب لأفرادها تعصّباً شديداً، فإذا جنى أحدهم جناية شركته في مسؤوليتها، وإذا قُتل لها أحد أفرادها هبّت بمجاميعها للأخذ بالثأر إلى أن قام الإسلام بتغيير المنظومة العقائديّة والاجتماعيّة السائدة، وجعل الولاء للدين بأكمله، وليس للقبيلة فقط. فأصبحت الرابطة الدينية، لا الرابطة القبليّة هي التي توحّد بين الناس، وقضى الإسلام على العصبيّة القبليّة من خلال الحثّ على التعاون بين الأفراد على البرّ والتقوى، والتشجيع على التعاطف فيما بينهم، ليكونوا كالبنيان المرصوص في وحدتهم وتلاحمهم.

كما تسامى الإسلام على الفوارق الجنسيّة والطبقيّة بين الأفراد، وفوارق الشرف والسيادة الجاهليّة، فالناس جميعهم متساوون في الحقوق والواجبات والفرائض التي أقرّها الإسلام، فلا فضل لأحد منهم على الآخر، ولم يعد هناك ما يسمى بقانون الأخذ بالثأر؛ وذلك لأنّ الإسلام عمل على نقل حقّ الأخذ بالثأر من القبيلة إلى الدولة، وأصبح واجباً على القبيلة أن تقدّم القاتل لأولي الأمر حتى يلقى جزاءه[1].

وانعكست ملامح الدين الإسلامي عند شعراء صدر الإسلام من خلال تبدّيها في أشعارهم التي كانت الروح الإسلاميّة طاغيةً عليها، فقد تمكّنت الروح الإسلاميّة من الامتداد إلى العمق الوجداني لدى شعراء هذا العصر، وبدا ذلك من خلال أبياتهم التي صدرت عن عاطفة صادقة، ظهر بها إخلاصهم وولاؤهم للدين الجديد من خلال تغنّيهم بالمعاني الإسلاميّة التي جعلتهم يتسامون على جاهليتهم الأولى. فأعلنوا عن محبتهم، وصدق نيّتهم في الوفاء للإسلام الذي عرفوا مكانته بأن جعلهم يسلكون طريق الهداية والصواب، فأخرجهم من الظلمات إلى النور، ممّا جعلهم يبذلون أرواحهم فداءً لنصرة الدين الجديد الذي أرسى قواعد حياتهم، ونظمها وحقّق فيها العدالة. وتمكّنت تلك النزعة الوجدانيّة من الظهور عن طريق أبياتهم التي صوّروا من خلالها بطولاتهم وفتوحاتهم الإسلاميّة التي تغنّوا فيها بقوّة جيوش المسلمين، وتصدّوا بالهجاء اللاذع لمن عاداهم وآذاهم من

[1] ينظر: ضيف، شوقي، العصر الإسلامي، ط7، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1976م، ص: 19.

أعداء الإسلام، فدفعتهم محبّة الإسلام للذود عنه بألسنتهم وسيوفهم على حدّ سواء. كما ظهرت النزعة الوجدانيّة من خلال مراثيهم التي بكوا فيها أبطالهم وقاداتهم الذين نالوا نصيبهم من الشهادة في سبيل إعلاء راية الإسلام.

المؤثرات الدينية:

ظهرت ملامح الجانب الإيماني في شعر صدر الإسلام من خلال انعكاس الروح الإسلامية، ومفردات المعجم الإسلامي عند شعراء هذه الفترة، وتبدّى ذلك الانعكاس من خلال أغراضهم المتنوّعة، ففي المديح نجد أنّ الشاعر تجاوز في مدائحه النبويّة الملامح التقليديّة الجاهليّة التي كانت تقرن صورة البطولة الجاهليّة بملامح من العنف والعدوانيّة، وفوضى الغزو والثأر لتتحوّل إلى صورة منضبطة محمّلة بالحسّ الإسلامي الجديد، إذ تجسّدت البطولة في مكانة الرسول عليه الصلاة والسلام بوصفه هادياً للأمة، وبشيراً بالحق[1]. على نحو ما نجد عند حسان بن ثابت في قوله[2]:

وَقــالَ اللَــهُ قَــد أَرسَــلتُ عَبــداً يَقــولُ الحَــقَّ إِن نَفَــعَ الــبَلاءُ
شَــهِدتُ بِــهِ وَقَــومي صَــدَّقوهُ فَقُلــتُم لا نقــوم ولا نَشــاءُ

فالممدوح هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، "أتى قومه اختباراً لهم، فشهد به فريق وكذبه آخرون، وهي ملامح تبدو جديدة تماماً في عالم الفضيلة التي رسمها المادح لممدوحه"[3].

[1] ينظر: التطاوي، عبد الله، حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية، دار غريب للطباعة، القاهرة، 1998م، ص: 12.

[2] ديوان حسان بن ثابت، شرح: عبد علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م، ص: 20.

[3] حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية، ص: 12.

ويقول كعب بن مالك يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم[1]:

فِينـا الرسُـولُ شِـهابٌ ثُـمَّ يَتْبَعُـهُ نُـورٌ مُضـيءٌ لَـهُ فَضْـلٌ علـى الشُّـهُبِ

الحَـقُّ مَنْطِقُـهُ والعَـدْل سِـيرَتُهُ فَمَـنْ يُجبْـهُ إليـهِ يَـنْجُ مِـنْ تَبَـبِ

فالشاعر يمدح الرسول بأنّه شهاب ونور في إضاءته على جميع الشهب، كما يمدحه بصفات العدل واتباعه الحقّ في منهجه ومنطقه، وهذا دليل على علوّ مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم، وسمو منزلته عند المسلمين[2].

كما نجد ألفاظ المعجم الإسلامي حاضرة عند النابغة الجعدي، يقول[3]:

الحَمـدُ لِلَـهِ لاَ شَـرِيكَ لَـهُ مَـن لَـم يَقُلهـا فَنَفسَـهُ ظَلَمـا

المُـولِجِ الليـلَ فـي النهـارِ وَفِـي الـ ليـلِ نَهـاراً يُفـرِّجُ الظُّلَمـا

الخـافِضِ الرافِـعِ السَـماءَ عَلـى الـ أَرضِ وَلَـم يَـبنِ تَحتَهـا دِعَمـا

الخـالِقِ البـارِئِ المُصَـوِّرِ فـي الـ أَرحـامِ مـاءً حَتّـى يَصِـيرَ دَمـا

حيث استوحى أبياته من الدلالات القرآنيّة التي تحثّ على ضرورة حمد الخالق سبحانه وتعالى على نعمه، مع الإقرار بالشكر والثناء على عظيم آياته في الكون الذي سخّره للإنسان من أجل أن يعبد الله ويوحّده، ومع الحمد يضمّن في أبياته الآيات القرآنيّة التي تدعو إلى التفكّر في تعاقب الليل والنهار، وخلق السماء والأرض، وكيفيّة خلق الإنسان في الأرحام، مما يقترب كثيراً من معاني الآيات الكريمة.

[1] ديوان كعب بن مالك، تحقيق: مجيد طراد، ط1، دار صادر، بيروت، 1997م، ص: 25.

[2] ينظر: البيك، أماني، دلالة الألوان في شعر الفتوح الإسلامية في عصر صدر الإسلام، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 2010م ص: 90.

[3] ديوان النابغة الجعدي، تحقيق: واضح الصمد، ط1، دار صادر، بيروت، 1998م، ص: 147 – 148.

وكانوا يقتبسون أشعارهم من القرآن الكريم، يقول حسان[1]:

عَزيـــزٌ عَلَيـــهِ أَن يحيـــدوا عَـــنِ حَـــريصٌ عَلـــى أَن يَســـتَقيموا
الهُـــدى وَيَهتَـــدوا

فقد اكتسب الشعراء من أساليب القرآن وطرائقه في التعبير ما جعلهم يؤيّدون به كلامهم، فاقتبس حسان أبياته من قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

وكذلك نجد اقتباس معن بن أوس في قوله[3]:

فَمـــا زِلـــتُ فـــي لِينـــي لَـــهُ وَتَعَطُّفـــي عَلَيـــهِ كَمـــا تَحنـــو عَلـــى الوَلَـــدِ الأُمُّ
وَخَفـــضٍ لَـــهُ مِنـــي الجَنـــاحَ تَأَلُّقـــاً لِتَدنِيَـــهُ مِنـــي القَرابَـــةُ وَالـــرِحمُ

فأجمل ما في هذين البيتين هو أنّك تجد فيهما كلّ معاني الرحمة والعطف واللين والرفق، متجسّدة فيهما، فلم تقتصر أبيات شعراء صدر الإسلام على ذكر الألفاظ المستمدّة من الآيات القرآنيّة فقط، وإنّما استطاع الإسلام أن ينفذ إلى عمقهم الوجداني، فيحدث فيه تغيّراً يؤدّي إلى إزالة كلّ ما تبقى عالقاً في النفوس من آثار الجاهليّة[4]. وجاء اقتباسه من قوله تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[5].

[1] ديوان حسان بن ثابت، ص: 62.
[2] سورة التوبة: 128.
[3] القالي، إسماعيل بن القاسم، الأمالي، دار الكتب المصرية، ط2، 1926م، ج2، ص: 102.
[4] ينظر: إبراهيم، العيد، الحركة الشعرية من العصر الجاهلي للعصر الأموي المؤثرات والقضايا، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 2023م، ص: 40.
[5] سورة الإسراء: 24.

وكان عنصر الدين في فترة الصراع بين المسلمين وغير المسلمين يشكّل تجسيداً للهويّة، ويرتبط بها، وها هي أبيات نهار بن توسعة التي تعدّ خير دليل على مكانة المكوّن الديني في تشكيل الهوية، يقول[1]:

أبـــي الإســـلام لا أب لـــي ســـواه ... إذا هتفـــوا ببكـــرٍ أو تمـــيم
دعـــي القـــوم ينصـــر مدعيـــه ... فيلحقـــه بـــذي النســـب الصـــميم
ومـــا كـــرم ولـــو شـــرفت جـــدود ... ولكـــن التقـــي هـــو الكـــريم

فدلّت هذه الأبيات على رفض الهويّة الجاهليّة، وتأسيس هويّة جديدة، فهو يرفض حصر هويّته في قومه بكر، بل يضعها في مقابل هويّة أكثر شمولاً وهي الإسلام، فالإسلام يعلو على النسب والانتماء إلى قبيلة ما[2]، فصاروا يتباهون بانتسابهم إلى الإسلام، فلم يعد الشاعر يبالي بالانتماء إلى قبيلة صغيرة، وإنّما صار ينشد الانتماء إلى منظمة إسلاميّة كاملة، تحفظ له حقوقه، وتخرجه من شرذمة المجتمع القبلي، وما يسود فيه من تميّز طبقي، واعتداد بالأحساب والأنساب، فهو ينتمي إلى الإسلام الذي خلّصه من تلك الأعراف القديمة، فالإسلام لا يوجد فيه تمييز بين الأفراد على مستوى الأعراق والأنساب، وإنما لا يفضل في الإسلام فردٌ على الآخر إلا بالتقوى، وهو ما فطن إليه الشاعر، وضمّنه في قصيدته، وذلك عندما قال: (ولكن التقي هو الكريم).

ويقول عمران بن حطان[3]:

فَـنَحنُ بَنـو الإسـلامِ وَاللَـهُ رَبُّنـا ... وَأولـى عِبـادِ اللَـهِ بِاللَـهِ مَـن شَـكر

[1] ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ج1، دار الحديث، القاهرة، ص: 528.

[2] ينظر: بن يحيى، عباس، تحولات المكون الديني في الشعر العربي، مجلة حوليات التراث، العدد الأول، جامعة المسيلة، الجزائر، 2004م، ص: 53 – 54.

[3] المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م، ط3، ص: 127.

استطاع هذا البيت أن يفصح عن اعتزاز الشاعر بانتمائه إلى الإسلام، وأكّد اعتزازه بتوظيف ضمير الجماعة (نحن – ربنا) الذي ساهم في ترجمة الشعور بالانتماء والاعتزاز بالدين الإسلامي، وذلك بأن جعل شعوره بالاعتزاز يمتزج بالحس الجماعي ليشاركه في شعوره، فيوسع من دائرة الانتماء للدين الجديد، ويُتْبع كلامه بأن يرى أنّه من الواجب عليه أن يشكر الله على نعمه التي أسبغها عليه.

ويقول مسلم بن جبير[1]:

خالَفــــتُ قَـــومِيَ فـــي ديـــنِهُم خِــلافَ صَــبا الــريحِ جــاءَت جَنوبــا
أُرَجّـــــي الإلـــــهَ وَغُفرانَـــــهُ وَيَرجـــــونَ دِرهَمُهُـــــم وَالجَريبـــــا

فالأبيات تنمّ عن تحوّل في الهوية والانتماء إلى دين جديد يرى الشاعر فيه سكينته وأمانه، ويراه مخلصاً له ممّا كان عليه من تعلّق بما هو دنيوي فانٍ.

ويقول حسان بن ثابت[2]:

وَجِبريـــلٌ رســـول اللَـــهِ فينـــا وَروحُ القُـــدسِ لَـــيسَ لَـــهُ كِفـــاءُ

فهو يؤمن بالوحي وبمصدر الرسالة الغيبي، وضمّن بيته بالجانب الروحي الإيماني، الذي جعلهم يتسامون على ما هو مادّي، فأدركوا حقيقة الإسلام، وآمنوا بما جاء به الإسلام من أمور غيبية.

[1] عباس، إحسان، ديوان شعر الخوارج، دار الشروق، مصر، ط4، 1982م، ص: 97.
[2] ديوان حسان، ص: 20.

وأصبح شاعر هذا العصر يعكس في شعره ملامح إيمانه الصادق بالدعوة كما يظهر خوفه وخشيته من عقاب الله. يقول النابغة الجعدي[1]:

تَبِعــــتُ رَسُـــولَ اللَـــهِ إذ جـــاءَ بالهُـــــــــــــــــــــــــــدى وَيَتلُـــو كِتابـــاً كـــالمَجَرَّةِ نَيِّـــرا
أُقِـــيمُ عَلـــى التَقـــوى وَأَرضـــى بِفِعلِهـــــــــــــــــــــــــــا وَكُنـتُ مِـنَ النـارِ المَخُوفَـةِ أَوجـرا

إذ "اتخذ شاعر هذا العصر مادّته اللفظيّة من رسول الله – الهدى – الكتاب – النور – التقوى – الرضى – الحذر من النار، فكانت الصياغة إسلاميّة المصدر سواء دخلت بالأبيات إلى عالم المدح أم الفخر أم غيرهما"[2]. وبدا المعجم الإسلامي أساساً جديداً لمادّة التصوير على النحو الذي صوّره النابغة الجعدي في قوله وقد تخلى عن معجمه الجاهلي.

واهتمّ شعراء العصر الإسلامي بتصوير سعادتهم بالدخول إلى الإسلام، يقول لبيد بن ربيعة العامري شاكراً الله على نعمة الإسلام[3]:

الحَمـدُ لِلَّـهِ إذ لَـم يَـأتِني أَجَلـي حَتّـى لَبِسـتُ مِـنَ الإِسـلامِ سِـربالا

فيأتي جمال البيت من التصوير الذي "جسّد فيه الشاعر الإسلام، وقد اكتسى سرباله قبل وفاته مما يكمل مقولة التوحيد التي ردّدها – إعجاباً بها – رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أَلا كُـلُّ شَـيءٍ مـا خَـلا اللَـهَ باطِـــــــــــــــــــــــــــلُ وَكُـــلُّ نَعـــيمٍ لا مَحالَـــةَ زائِـــلُ[4]

[1] ديوان النابغة، ص: 65.
[2] حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية، ص: 17.
[3] ديوان النابغة الجعدي، ص: 122.
[4] حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية، ص: 17.

وكذلك نجد حسان بن ثابت يرثي الرسول صلى الله عليه وسلم، ويستمد معانيه من العقيدة الإسلاميّة، ومفردات المعجم الإسلامي[1]:

نَبِـــيٌّ أَتانـــا بَعـــدَ يَـــأسٍ وَفَتـــرَةٍ مِـــنَ الرُســـلِ وَالأَوثـــانِ فـــي الأَرضِ تُعبَـــدُ
فَأَمســـى سِـــراجاً مُســـتَنيراً وَهادِيـــاً يَلـــوحُ كَمـــا لاحَ الصَـــقيلُ المُهَنَّـــدُ
وَأَنـــذَرَنا نـــاراً وَبَشَّـــرَ جَنَّـــةً وَعَلَّمَنـــا الإِســـلامَ فَاللَـــهَ نَحمَـــدُ
تَعالَيـــتَ رَبَّ النـــاسِ عَـــن قَـــولِ مَـــن دَعـــا سِـــواكَ إِلَهـــاً أَنـــتَ أَعلـــى وَأَمجَـــدُ
لَـــكَ الخَلـــقُ وَالنَعمـــاءُ وَالأَمـــرُ كُلُّـــهُ فَإِيّـــاكَ نَســـتَهدي وَإِيّـــاكَ نَعبُـــدُ

فكان الرثاء ممزوجاً بذكر مناقب الرسول وصفاته، والوقوف عند القيم التي حثّ عليها الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته من تعليم الناس مبادئ الإسلام، فكان كالسراج المنير الذي استضاء الناس بنوره، فوصلوا إلى طريق الهداية بعد أن كانوا غارقين في غياهب الوثنية، وظلمات الجاهلية التي كانت حجاباً يصدّهم عن إبصار النور، حتى جاء الرسول صلى الله عليه وسلم، وأضاء لهم طريق الهداية، فمشوا فيه، وبشرهم بالجنة، وأنذرهم من عذاب النار. وأدركوا مكانة الرسول، وقيمة الرسالة التي جاءهم بها، ووجد حسان أنّ الزمان ما أتى بمثل الرسول صلى الله عليه وسلم في الماضي، وكذلك يعجز الزمان عن أن يأتي بمثل الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يوم القيامة.

[1] ديوان حسان، ص: 54 – 55.

كما تتّضح أيضاً ألفاظ المعجم الإسلامي عند حسان بن ثابت عندما رثى أبا بكر الصديق رضي الله عنه قائلاً[1]:

إذا تَـذَكَّرتَ شَـجواً مِـن أَخـي ثِقَـةٍ ... فَـاذكُر أَخـاكَ أَبـا بَكـرٍ بِمـا فَعَـلا
خَيـرَ البَرِيَّـةِ أَتقاهـا وَأَعـدَلَها ... إِلّا النَبِـيَّ وَأَوفاهـا بِمـا حَمَـلا
وَالثـانِيَ الصـادِقَ المَحمـودَ مَشـهَدُهُ ... وَأَوَّلَ النـاسِ مِـنهُم صَـدَّقَ الرُسُـلا
وَثـانِيَ اِثنَـينِ فـي الغـارِ المُنيـفِ ... طـافَ العَـدُوُّ بِـهِ إِذ صَـعَّدَ الجَـبَلا
وَقَـد
عـاشَ حَميـداً لِأَمـرِ اللَـهِ مُتَّبِعـاً ... بِهَـدي صـاحِبِهِ الماضـي وَمـا اِنـتَقَلا
وَكـانَ حِـبَّ رَسـولِ اللَـهِ قَـد عَلِمـوا ... مِـنَ البَرِيَّـةِ لَـم يَعـدِل بِـهِ رَجُـلا

ويقول كعب بن زهير في اعتذاره للرسول صلى الله عليه وسلم، وإيمانه بالقرآن[2]:

أُنبِئـتُ أَنَّ رَسـولَ اللَـهِ أَوعَـدَني ... وَالعَفـوُ عِنـدَ رَسـولِ اللَـهِ مَـأمولُ
مَهـلاً هَـداكَ الَّـذي أَعطـاكَ نافِلَـةَ الـ ... قُـرآنِ فيهـا مَـواعيظٌ وَتَفصـيلُ
لا تَأَخُـذَنّي بِـأَقوالِ الوُشـاةِ وَلَـم ... أُذنِـب وَلَـو كَثُـرَت عَنّـي الأَقاويـلُ
إِنَّ الرَسـولَ لَسَـيفٌ يُستَضـاءُ بِـهِ ... مُهَنَّـدٌ مِـن سُـيوفِ اللَـهِ مَسـلولُ

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الأبيات التي نُظمت في سياق الاعتذار والتكفير عمّا سبق من أخطاء ارتكبها صاحبها، هي من أصدق الأبيات عاطفةً، وذلك لأنّ صوت الوجدان يكون فيها مرتفعاً، وهو ما وجدناه في أبيات كعب بن زهير الذي أراد أن يستعطف الرسول صلى الله عليه وسلم ليشفق عليه، ويصفح عنه، ويتجاوز عمّا صدر منه من أقوال أساء بها إلى الإسلام من قبل، ولا شكّ في أنّ هذه الأبيات أبانت عن جوانب خفيّة في نفس الشاعر، من مشاعر مختلطة من أسفٍ

[1] المصدر نفسه، ص: 179.

[2] ديوان كعب بن زهير، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص: 65 – 67.

وندمٍ ورغبةٍ في أن يعفو الرسول عنه، ويتوسّل إلى الرسول أن يتمهّل ويعدل عن إهدار دمه، ويجعل توسله للرسول مرتبطاً بحق القرآن الذي أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، بما فيه من مواعظ وحكم، وهذا يدلّ على أنّ الشاعر يريد أن يثبت للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أنّه أدرك حقيقة الإسلام، وآمن به، وبالقرآن الكريم، الذي نزّله الله على نبيّه الكريم صلى الله عليه وسلم، فأدرك في قرارة نفسه ما يحتوي عليه القرآن من حكم ومواعظ.

ثمّ يطلب من الرسول ألا يحاسبه بما يقوله الوشاة، فهو غير مذنب على الرغم من كثرة كلامهم، وينهي أبياته بمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنّه النور الذي يهدي التائهين، والسيف الذي يردي الظالمين، وإنّ اختيار الشاعر لكلمة: (النور) في وصفه للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم دلالة على أنّه آمن وأدرك حقيقة الرسالة المكلّف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنّ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد بعثه الله لينير طريق الهداية للناس، فيخرجهم من عتمة الجاهلية الأولى ويهديهم بالنور المؤيّد به إلى طريق الصواب. ثمّ يتبع هذه الصفة بصفة أخرى، فيشبه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالسيف، ليدلّ على إيمانه بالقوّة التي أيّد بها نبيه الكريم، فيكون سيفاً بتاراً يذود عن الإسلام، ويحارب في سبيل نشر الدعوة الإسلاميّة أعداء الدين الإسلامي، وذلك إعلاء لكلمة الإسلام.

كما نجد حضور المعاني الإسلاميّة في قول كليب بن أسد الحضرمي[1]:

أنـــت النبـــيُّ الـــذي كنـــا نُخْبِـــرُهُ وبشـــرتنا بـــه الأخبـــار والرســـل

فعبّر عن إيمانه بالرّسالة التي أيّد الله بها رسوله الكريم صلّى الله عليه وسلّم الذي حدّث عن مجيئه الأنبياء والرسل السابقون، وبشّروا بقدومه.

[1] درنيقة، محمد أحمد، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، ط1، دار الهلال، ص: 312.

ويقول الطفيل بن عمرو بن طريف الدوسي[1]:

ألا أبلـــغ لـــديك بنـــي لـــؤي ... علـــى الشـــنآن والغضـــب المـــردّ
بـــأنّ الله ربّ النـــاس فـــرد ... تعـــالى جـــدّه عـــن كـــل نـــدّ
وأنّ محمـــداً عبـــدٌ رســـولٌ ... دليـــل هـــدى وموضـــح كـــلّ رشـــد
وأن الله جلّلـــــه بهـــــاء ... وأعلـــى جـــدّه فـــي كـــلّ جـــدّ

عكست هذه الأبيات مدى إيمانهم الصادق بربّ العالمين، وبنبيّه الكريم صلّى الله عليه وسلّم، والرسالة التي كلّفه الله بها. كما أيقنوا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد أنار لهم طريق الهداية والرشاد، وأنّ الله جلّ وعلا قد اصطفاه بتبليغ الرسالة، وكرّمه بالمنزلة الرفيعة.

يقول المخبل السعدي[2]:

إنّـــي وَجَـــدتُ الأَمـــرَ أَرشَـــدُهُ ... تَقـــوى الإِلَـــهِ وَشَـــرُّهُ الإِثـــمُ

فوجدوا أنّ التقوى هي سبيلهم المنجي لهم من الوقوع في الضلال، فالخير كلّه يكمن باتباع الهدى والتقوى، أمّا الشرّ فيكون مرافقاً معه الإثم والضلال.

يقول لبيد[3]:

أَحمَـــدُ اللَـــهَ فَـــلا نِـــدَّ لَـــهُ ... بِيَدَيـــهِ الخَيـــرُ مـــا شـــاءَ فَعَـــل
مَـــن هَـــداهُ سُـــبُلَ الخَيـــرِ اِهتَـــدى ... نـــاعِمَ البـــالِ وَمَـــن شـــاءَ أَضَـــلّ
وَاكـــذِبِ الـــنَفسَ إِذا حَـــدَّثتَها ... إِنَّ صِـــدقَ الـــنَفسِ يُـــزري بِالأَمَـــل

[1] العسقلاني، أحمد بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، ج3، ص: 424.

[2] الضامن، حاتم: المخبل السعدي حياته وما تبقى من شعره، الإعدادية المركزية، بغداد، ص: 131.

[3] ديوان لبيد، ص: 139.

غَيــرَ أَن لا تَكــذِبَنها فــي التُقــى وَاخزُهــا بِــالبِرِّ لِلَّــهِ الأَجَــل

فقد عمل الإسلام على تهذيب النفوس وتصفيتها من ضغائن الجاهلية، وصارت الألفاظ أقرب إلى الخشية منها إلى العصبيّة القبليّة، حيث غلب عليها الورع والرقّة، وتنبّه الشعراء إلى حديث النفس، وما قد تسوّل لصاحبها من القيام بأفعال تؤدّي به إلى الوقوع في المهالك، ومتاهات الضلال، فيدعو الناس إلى عدم الاستجابة للنفس، ومطاوعتها إلّا على فعل الخير. كما يرى أنّ علاج النفس من المآثم والخطايا لا يكون إلّا بالبرّ والتقوى، فمن شأنهما أن يرتقيان بالنفس، ويقوّمانها، ويدفعان بها نحو الرشد والهداية.

يقول النمر بن تولب[1]:

وَمتــى تُصِــبكَ خَصاصَــةٌ فــارجُ وَإِلــى الَّــذي يُعطــي الرَغائِــبَ فَارغَــبِ الغِنــى

فالبيت يحمل معنى النصح والإرشاد لكلّ من تضيق به سبل الحياة، فيوصيه الشاعر باللجوء إلى الله تعالى، أن يسأله حاجاته، لأنّ الله لا يخيّب عبداً سأله.

ويقول[2]:

أَعِــذني رَبِّ مِــن حَصَــرٍ وَعــيٍّ وَمِــن نَفــسٍ أُعالِجُهــا عِلاجــا

فاستطاع أن يدرك ما يشوب النفس من علل وأمراض قد تجعل الإنسان يبتعد عن طريق الصواب، فعندما تمرض النفس فإنها ستوقع صاحبها في أودية الضلال، فيستعيذ الشاعر من مخاطر النفس

[1] الشعر والشعراء، ج1، ص: 300.

[2] ابن وهب الكاتب، إسحاق بن إبراهيم، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، 1996م، ص: 168.

وأطماعها، ويستعصم بحبل الله ليجنّبه أذى النفس، ويقيه شرّها وكيدها وأهواءها التي تؤدّي إلى المهالك. فهنا وجدنا الصراع الدائم بين النفس وصاحبها الذي يخاف أن تؤدّي به نحو الضلال، وهذا يدلّ على تمكن الإسلام من الوصول إلى أعماق النفس، فلم يكن إيمانهم ظاهريّاً شكلياً، وإنّما نفذ إلى أعماق بواطنهم.

ويقول عمرو بن أحمر الباهلي[1]:

إليك إلـه الحـقّ أرفـع رغبتـي ... عيـاذاً وخوفـاً أن تطيـل ضـمانيا
فـإن كـان بـرءاً فاجعـل البـرء نعمـة ... وإن كـان فيضـاً فـاقض مـا أنـت قاضـيا

وقد استطاعت المؤثّرات الدينية من الانعكاس في وجدانهم من خلال صدقهم وعاطفتهم، وإخلاصهم الحقيقي للدين الإسلامي، فكانت أبياتهم تنمّ عن سلوك خلقي قويم من ضرورة مراقبة الإنسان لربّه في كلّ أفعاله، وتذكّر يوم القيامة، والخوف من الله في السرّ والعلن. وتجدهم يسلّمون بما سيقدره الله لهم في المستقبل من أمور، وهذا التسليم يترافق مع الرضا الدائم بكلّ ما كتبه الله لهم، ممّا يدلّ على حقيقة توكّلهم على الله. حتى إنّهم ضمّنوا أبياتهم اقتباسهم من آيات القرآن الكريم، ومن مفردات المعجم الإسلامي ما يدلّ على ما طُبع في وجدانهم من المعاني الإسلاميّة وتأصّلها في وعيهم وإيمانهم.

ونجد ضرار بن الأزور ينشد أبياتاً يتضرّع فيها إلى الله تعالى، ويسأله أن يغفر له، ويعفو عنه، يقول[2]:

عليـك ربـي فـي الأمـور المتكـل ... اغفـر ذنـوبي إنْ دنـا منـي الأجـل
يـا رب وفقنـي إلـى خيـر العمـل ... عنـي وامـحُ – سـيدي – كـلّ الزلـل

[1] الشعر والشعراء، ج1، ص: 344.

[2] الواقدي، محمد بن عمر، فتوح الشام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، ج2، ص: 222.

أنـــا ضـــرار الفـــارس العـــرم البطـــل بـــــاغٍ علـــــى الأعـــــداء أضـــــحى المنصـــــــــــــــــــــــــــــــل

اقمـــــع بســـــيفي الـــــروم حتـــــى تضـــــــــــــــــــــــــــــــمحل مـــا لـــي ســـواك فـــي الأمـــور مـــن أمـــل

فنجد في هذه الأبيات يمتزج توسله إلى الله بأن يعفو عنه، ويغفر له ما تقدّم من ذنوب، وامتزج دعاؤه بتلبيته لداعي الجهاد، فقد خرج مع المسلمين إلى قتال الروم، وفتح دمشق.

وممّا تقدّم من حديثنا عن المؤثّرات الدينيّة في الخطاب الوجداني في الشعر الإسلامي وجدنا أنّ إيمان الشعراء بالدين الإسلامي لم يقف عند حدود ألسنتهم، وإنّما تجاوزها لتمتدّ وتنفذ إلى قلوبهم، وقد انعكست حقيقة ذلك من أشعارهم التي أفصحت عن إخلاصهم لمبادئ الدين الإسلامي، والالتزام بأوامره، واجتناب نواهيه.

زيادة على أنّهم ضمّنوا أشعارهم باقتباسات من القرآن الكريم، فجاءت ألفاظه مستمدّة من المعجم الإسلامي، وعلى مستوى المعاني، فكانت معانيهم محمّلة بالقيم والمثل الإسلاميّة من التسامح والعفو والإحسان، والدعوة إلى الجهاد في سبيل الله، لنصرة الدين الجديد الذي جاء ليرسي قواعد حياتهم وينظّمها.

نتائج البحث:

1- كان للخطاب الوجداني حضور واضح في الشعر الإسلامي.

2- ساعدت المؤثّرات الإسلاميّة على نشاطه في الشعر الإسلامي، إذ انصبغت هذه المؤثّرات بالقيم الإسلاميّة التي كان لها دور كبير في تهذيب النفوس وصقلها، وقد امتدّت القيم الإسلاميّة لتنفذ إلى العمق الوجداني.

3- في دراستنا للمؤثّرات الدينيّة في الشعر الإسلامي وجدنا أن تلك المؤثّرات أدّت إلى بروز النزعة الوجدانيّة بقوّة.

4- ظهرت المؤثّرات الدينيّة من خلال أبياتهم التي غُلّفت بالمعاني الإسلاميّة.

5- استمد الشعراء ألفاظهم من المعجم الإسلامي، كما كانوا يكثرون من اقتباساتهم من القرآن الكريم.

6- ظهرت النزعة الوجدانيّة في المؤثّرات الدينيّة من خلال الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله، فسارعوا في بذل أرواحهم فداءً للدين الإسلامي، وهذا يدلّ على تمكّن الدين الإسلامي من الوصول إلى أعماقهم.

التوصيات

من أهمّ التوصيات والمقترحات التي خلص إليها بحثنا:

1- تخصيص ورقات عمل وأبحاث عن الشعر الوجداني، ولا سيّما عند شعراء صدر الإسلام، فقد وجدنا أثناء دراستنا غياب اهتمام الباحثين في الكشف عن الخصائص الوجدانيّة في الشعر الإسلامي، حيث اكتفت الدراسات التي عُنيت بدارسة الشعر الوجداني في الاكتفاء بدراسة الخصائص الوجدانيّة في الشعر الحديث.

2- إلقاء الضوء على الملامح الوجدانيّة في الشعر القديم بأكمله، وعدم جعل تلك الدراسات مقتصرة على الشعر الحديث، إذ إنّ الشعر الوجداني ليس حكراً على عصر معيّن.

3- أهميّة ربط الدواوين الشعريّة بثقافة العصر، وإزاحة الغبار عن موروثنا الشعري المهمّش، وذلك من خلال توجيه أبصار الباحثين نحو العودة إلى التراث القديم، والدواوين القديمة التي تشتمل على موضوعات جمّة، تنتظر من ينقّب عنها، ويبحث فيها، ويحلّلها.

4- توجيه طلاب الماجستير والدكتوراه للبحث في مثل هذه الموضوعات، وذلك لما فيها من جدّة وغنى فكري، فمن ينتقي مثل هذه الموضوعات، فإنّه سيكون متميّزاً عن غيره، وذلك لقلّة الدراسات في هذا المجال.

5- ضرورة تخصيص مؤتمرات علميّة وندوات أكاديميّة حول الشعر العربي القديم، وذلك من أجل تنشيط الحركة الفكريّة، وجذب اهتمام الباحثين للخوض في تلك الموضوعات.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- إبراهيم، العيد، **الحركة الشعرية من العصر الجاهلي للعصر الأموي المؤثرات والقضايا**، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 2023م.

3- بن يحيى، عباس، **تحولات المكون الديني في الشعر العربي**، مجلة حوليات التراث، العدد الأول، جامعة المسيلة، الجزائر، 2004م.

4- البيك، أماني، **دلالة الألوان في شعر الفتوح الإسلامية في عصر صدر الإسلام**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 2010م.

5- التطاوي، عبد الله، **حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية**، دار غريب للطباعة، القاهرة، 1998م.

6- درنيقة، محمد أحمد، **معجم أعلام شعراء المدح النبوي**، ط1، دار الهلال.

7- **ديوان النابغة الجعدي**، تحقيق: واضح الصمد، ط1، دار صادر، بيروت، 1998م.

8- **ديوان حسان بن ثابت**، شرح: عبد علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م، ص: 20.

9- **ديوان كعب بن زهير**، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

10- **ديوان كعب بن مالك**، تحقيق: مجيد طراد، ط1، دار صادر، بيروت، 1997م.

11- الضامن، حاتم: **المخبل السعدي حياته وما تبقى من شعره**، الإعدادية المركزية، بغداد.

12- ضيف، شوقي، **العصر الإسلامي**، ط7، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1976م.

13- عباس، إحسان، **ديوان شعر الخوارج**، دار الشروق، مصر، ط4، 1982م.

14- العسقلاني، أحمد بن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ط1.

15- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة.

16- القالي، إسماعيل بن القاسم، **الأمالي**، دار الكتب المصرية، ط2، 1926م.

17- المبرد، محمد بن يزيد، **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1997م.

18- الواقدي، محمد بن عمر، **فتوح الشام**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م.

19- ابن وهب الكاتب، إسحاق بن إبراهيم، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، 1996م.